الى قلب امٍ حزينة و والد تعس وحينئذٍ تحل السكينة والهدو محل القلاقل والاضطرابات فأنت قادرة ايتها الفتاة على جعل مهد نشأتك بهجة في عين الناظرين . على ان هذا كله لا ينسيك باقي واجباتك ولا يجعلك تشمئزين بأنفك الى العلاء ولو تيقنت ان العائلة شديدة الحاجة اليك والى مساعيك لانك سبب غبطتها وداعي رفاهيتها

نجيب المندراوي

الفتاة المصرية

تدافع عن وطنها بشجاعة

سنة ٦٤٠ م و٣٥٦ للشهداء و١٨ للهجرة

صفحة من صفحات التاريخ(١)

لما افتتح العرب مصر كان احد ولاتها المدعو جرجس المقوقس (٢) قد مضى عليه زمن طويل وهو في وظيفتهِ مما جعله قوي الساعد نافذ الكلمة خصوصاً وانه كان مقيما على بابليون (٣) اخر حدود ولايته من الشمال مما جعل رعيته تنظر اليه كأنهُ ملكها المطلق لا يفوقه ملك او امبراطور ومع أن الفرس برحوا مصر واحتلها بعدهم الرومانيون واقاموا حاميتهم وجنودهم في بابليون و بني سويف والفيوم فلم يكن سكان الصعيد يهتمون بهم أو يحسبون لوجودهم حساباً وكانوا لا يعرفون اذا كانت هذه الجنود فارسية او رومانية لانهم لايختلطون بهم ولا يسألون عنهم ما داموا يدفعون الضرائب الى واليهم وهو وشأنه يتصرف فيها كما يشاء . وهذه الخطة في تصريف الجزية هي التي ألجأت المقوقس الى خيانة وطنه .

(١) عن تاريخ الامة القبطية (٢) والى مدينة بابليون ومعنى المقوقس العظيم (٣) مدينة قديمة تجاه مدينة ممفيس من الشمال على شاطئ النهر

و بعد ان ظل عدة سنين يستحوذ عليها و يبقيها لنفسه جاءه هرقل ملك الرومان يضايقه بطلب الجزية وتنفيذ الاوامر الرومانية في البلاد التي استردها من الفرس • فلهذا السبب ولأسباب اخرى سياسية ارسل المقوقس وفد الى محمد العاص زعيم المسلمين وزوده بهدايا من عسل نحل وعدد عديد من العبيد الارقاء

ولكن لم يمر الزمن الذي فيه يضمن المقوقس النجاح حتى مات محمد ورفع هرقل راية سلطته على مصر• فخاف هذا الخائن المائن واسقط في يده لانه اذا دبت الحياة في جسم المملكة الرومانية وعادت قوتها تتجدد بعد الاحتضار وتغلبت على العرب كما قهرت الفرس فلا ريب فان قصاص المقوقس يكون مثل ذنبه مريعاً هائلاً وحدث في ذلك الوقت أن جيش هرقل اشتبك مع العرب في معركه كبرى بفلسطين فصار جرجس يترقب هذه الحرب علماً منه ان مصر تأول لمن يخدمه السعد ويحوز النصر من الطرفين • ومن مميزات المقوقس انه ذا وجهين يتلون كالحرباء ويتقلب كيف شاء ولسان حاله يقول « انا مع الغالب »

فلما انتصر هرقل على العرب في موقعة فلسطين ظن جرجس ان النصر سيكون حليفاً لهذا الامبراطور . ولذلك سعى في التقرب اليه والتملق له عساه يتناسى عدوانه وطمعه فدبر الطريقة الآتية وهي : انه كانت له ابنة بارعة في الجمال اسمها ارمانوسة . فخطر في باله ان يزوجها بقسطنطين ابن هرقل الاكبر وريثه

فامهرها بصداق وفير جعل هذا الامير الذي كان حاكماً في قيصرية ان يقبل طلب جرجس ويتنازل عن المتأخرات الباقية عليه من ضرائب مصر التي لم يدفعها للخزينة الامبراطورية

ففي سنة ٦٣٩ م سارت هذه العروس المصرية من بابليون بأبهة الملكات وفخفخة جداتها المصريات يحف بها جيش جرار ويمشي في ركابها امراء واقيال حتى بلغ مقدار الفرسان الذين كانوا في موكب زفافها الفا فارس او يزيدون • عدا العبيد والهدايا النفيسة والعطايا الفاخرة التي تليق بعروس مصرية لعريس روماني . ولكن عند ما وصلت هذه الانسة الحسناء الى حدود مصر وكادت تعبر القنطرة

« عند الاسماعيلية » الى العريش بلغها ان الغلبة كانت حليفة للعرب الذين شددوا الحصار على قيصرية وهم يستعدون للهجوم على مصر . فلما طرق هذا الخبر اذان سليلة رعمسيس وابنة فرعون وكريمة اولئك الاجداد الكرام الذين دوخوا العالم من قبل طرحت حلى العرس وزينة الفرح وتقلدت بالسيف بدل الوشاح ولبست الدروع بدل الدمالج وتمنطقت بمعدات الهلاك بدل احزمة الذهب المرصعة باللآلىء ونزلت من مركبتها وامتطت متن جواد أشهب . وقالت للذين يسيرون معها « هيا بنا نخضب ايدينا بدماء الاعداء بدل تخضيب الاوانس ونشرب بجماجمهم عوضاً عن شربنا بكاسات الذهب وطاسات الابريز

« تعالوا نشنف اذاننا بصلصلة السيوف وصليل الخيل بدل وقع الدف ورنة العود

« سيروا بنا نحو الاعادي وهناك اذا وقعت العين على العين وحمي وطيس الحرب وعلا سير الطعن والضرب وتقابلت مع الفرسان تجدونني ان اردد ما قاله عنترهم الاسود وانا فتاة بيضاء بضاء وغادة هيفاء غضة »

اذا كشف الزمان لك القناعا ومدّ اليك صرف الدهر باعا
فلا تخشى المنيـة والتقيها ودافع ما استطعت لها دفاعا
ولا تختر فراشاً من حرير ولا تبكِ المنـازل والبقاعا

وحينئذ كرّت ارمانوسة راجعة الى بلبيس في نفر من رجالها واخذت تستعد للدفاع وصد هجمات الاعداء ثم ارسلت باقي الجنود التي كانت تسير فى حراستها الى جهة الاسماعلية اذ ظنت ان العرب قد يجيئون من هنالك . وبعد ان استكملت جميع هذه المعدات للدفاع عن وطنها ارسلت واخطرت اباها بالخبر وظلت هي فى بلبيس تدور على السكان مشجعة اياهم ضد الاعداء

وبعد قليل هجم عمرو بن العاص على الاسمـاعلية واخذها ثم تقدم على بلبيس وحاصرها

ولـكن ارمانوسة وقفت فى وجه قواته مدة شهر من الزمان وهي تدفعهم وتصدهم وتخترق صفوفهم وتفل جموعهم وتشتت شملهم . وبقيت على هذه الحالة وهي تشيد

الموقعة بعد الاخرى وتبلي في الاعداء بلاء حسناً حتى يئس عمرو من الانتصار وضجر من هذه الباسلة القوية فأغار على بلبيس دفعة واحدة خسر فيها خسارة كبرى ولكنه تغلب عليها لان جيش ارمانوسة لم يكن جيشاً منظماً مدرباً بل كان جماعة من الفلاحين جمعتهم للقتال والنزال

و بعد ان دخل عمرو بلبيس وقعت ارمانوسة اسيرة في يده ولكنه ارسلها بكل احترام وتبجيل اما لانه اعجب بشجاعتها و بسالتها او لانه خاف ان يؤذيها فيسيء الى والدها صديقه الحميم الذي ثبت لديه الآن ان العرب هم الذين سوف يأخذون مصر بلا محالة

ولما وصلت ارمانوسة الى ابيها سألها عما فعلت فاجابته قائلة :

اقمت بالذوابل سوق حرب ... وصيرت النفوس لها متاعا
حصاني كان دلآل المنايا ... فخاض عبابها وشرى وباعا
وسيفي كان في الهيجا طبيباً ... يداوي كل من يشكو الصداعا
اذا الابطال فرت خوف بأسي ... ترى الاقطار باعاً او ذراعا

فكظم ابوها غيظاً منها لانها قاومت الذين تعاهد معهم ان يعطيهم وطنه غنيمة باردة بدون حرب او عناء

ولم يستطع توبيخها او تعنيفها لانه كان لا يزال تحت حكم الرومانيين ولم تصر مصر الى ايدي العرب

فتأملي الى هذه القصة التاريخية الجميلة يا ايتها القارئة العزيزة ويا ايها القاريء الحكيم التي تمثل هيئة وحالة فتاتنا منذ ١٢٦٨ سنة تلك الحالة التي ربما لا تحصلين عليها ولن تحصلي عليها الا في الاجيال الآتية بعد التعليم والتربية المستمران بلا انقطاع . تأملوا يا حضرات الافاضل الى شجاعة تلك الفتاة الشريفة سليلة رعمسيس التي فضلت الدفاع والكفاح في ميادين الحرب لحفظ بيضة وطنها فوق كل ترهف و بذخ فضلاً عن الغنى والثروة التي كانت لها

ايتها الفتاة المصرية فتاة العصر افتحي عينيك وانظري وقارني عصرك عصر

الحرية والنور بعصر تلك الشريفة عصر الظلم والشقاء وقارني نفسك بتلك الفتاة الياسلة تري نفسك مقصرة كل التقصير في تأدية الواجبات الوطنية ومتأخرة كل التأخير ومنحطة غاية الانحطاط نسبة لظروفك وظروفها وعصرك وعصرها . تفكري وابحثي في ايامها المملوءة بالاضطراب والعذاب لظلم الملوك الذين كانوا يستولون على بلادنا الواحد بعد الآخر

رويت هذه القصة التاريخية على فتاة هذا العصر راجية منها ان تقتدي بتلك الآنسة الغيورة على وطنها وتجعل جانب من هذه الشجاعة بين افئدتها. ايتها العزيزة انا لا اعني بك ان تتشجعي وتقومي للحرب : كلا : لانه لا سبب ولا داع من ذلك ونحن الآن والحمد لله في عصر ملوءه الحرية والعدل والنور . كما أيد ذلك في قوله المرحوم قاسم بك امين اذ قال « نحن اليوم متمتعون بعدل وحرية لا اظن ان مصر رأت ما يماثلهما فى اي زمن من ازمانها» لكن الاقتداء الذي اعنيه لك ايتها الاخت هو ان تتشجعي فى المطالب العادلة التى ترومينها ويرومها كل مخلص وهو طلب حقوق تعليمك بالعلوم المفيدة والاداب الصحيحة . اعني بك ان تحاربي الجهل الذي انت عليه الآن الموجب للخرافات والخزعبلات المستولية على كثير من السيدات المصريات . ان تحاربي الكسل والخمول لكي تعرفى واجباتك نحو ربك . نحو جنسك . نحو وطنك . نحو عائلاتك . نحو بيتك :

هذه هي العادات والمطالب التى بسببها جئت اليك بهذه القصة راجية منك ان تحاربيها . لانها عدوة للادب والشهامة عدوة للعلم والتهذيب . عدوة للشجاعة والمروءة :

فلو تقدمت الى الامام وحاربت جميع هذه الاباطيل بكل قوتك تنكسر امامك جيوش هذه الاعداء ألا وهي جيوش الجهل والخمول والانحطاط فتضمحل وتزول ويستولي عوضاً عنها العلم والادب والشهامة والمروءة التى هي خصال المرء الحميدة . فدعوني اقول هلم ايتها الفاضلات نخدم الله والحرية والوطن

ت . حنين

تلميذة بمدرسة الامريكان بالقاهره